وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية الأساسية
قسم التاريخ

# محاضرات في تاريخ العراق السياسي المعاصر ١٩١٤ – ١٩٦٨

أ.د. قحطان حميد كاظم العنبكي

## المحاضرة الخامسة

## انطلاق ثورة العشرين

صمم أبناء العشائر على إطلاق سراح الشيخ شعلان ابو الجون، وتحدي قرار قوات الاحتلال البريطاني باعتقاله، فانطلقت عشائر الرميثة تهاجم السجن الذي أودع البريطانيون فيه الشيخ شعلان ، وتم تحريره من الاعتقال ، وكانت هذه العملية إيذاناً ببدء اشتعال نار الثورة ، وبدء المعارك بين الشعب العراقي وقوات الاحتلال البريطاني.

وفي مساء يوم ٦ تموز ١٩٢٠ توجهت قوة عسكرية بريطانية تضم ٢٠٠٠ ضابط وجندي بقيادة الكولونيل دي مارفين نحو الرميثة ، التي سيطرت عليها قوى الثورة في محاولة لفك الحصار عن القوات البريطانية المتواجدة هناك ، فكانت معركة العارضيات التي يفتخر بها أبناء العشائر الثائرة والشعب العراقي كافة اذ لم تستطع القوات البريطانية من الوصول إلى الرميثة، نظراً للمقاومة الباسلة التي واجهتها تلك القوات، اذ تم إيقافها على بعد ٧ كيلومترات منها بعد معركة دامية دامت ١٧ ساعة متواصلة، استبسل فيها أبناء الشعب العراقي ، واضطر قائد الجيش البريطاني إلى التراجع والانسحاب نحو الديوانية[١] .

لكن تلك القوات لم تستطع الوصول إلى الديوانية ، اذ جوبهت بقطع الطريق عليها ، وقلع السكة الحديدية التي كانت القوات البريطانية تستخدمها في الانسحاب وجوبهت بوابل من

(١). عبدالله الفياض ،المصدر السابق،٢٥٣-٣٢٢.

الرصاص من قبل العشائر الأخرى التي هبت لدعم الثورة في الرميثة ، وهرب قائد الحملة البريطانية لينجو بنفسه تاركاً قواته تحت رحمة الثوار الذين استطاعوا قتل أعداد كبيرة منهم ، وتم أسر من بقي منهم على قيد الحياة واستولى الثوار على جميع أسلحة القوة البريطانية، وقد بلغ عدد القتلى البريطانيين زهاء ٢٦٠ فرداً [٢].

ولما بلغ الأمر إلى قائد القوات البريطانية الميجر ديلي Major Daily أمر بإعداد قوة أخرى قوامها ٥٠٠٠ ضابط وجندي مجهزين بكامل المعدات الحربية ، واستعدت قوى الثورة للمعركة القادمة ، وأخذت تنظم صفوفها ، وترتب استحكاماتها ،وتحفر الخنادق في منطقة العارضية على بعد ٧ كم من الرميثة استعداداً لمجابهة قوات الاحتلال الجديدة بقيادة الميجر كونتكهام Major Contnkham ، اذ وصلت تلك القوات إلى قضاء الحمزة في ١٦ تموز ١٩٢٠، تحت غطاء جوي من الطائرات الحربية[٣].

وأبدى الثوار مقاومة باسلة ،منقطعة النظير ،وانزلوا بقوات الاحتلال خسائر فادحة في الأرواح والمعدات . وامتد لهيب الثورة إلى الرارنجية التي ضربت مثلاً رائعًا في البطولة والفداء ، وقامت قوات الثورة بمحاصرة مدينة الكوفة في أواخر شهر تموز ١٩٢٠ من جميع أطرافها مشددون الضربات على القوات البريطانية المحاصرة فيها ، والتي أصبح موقفها في غاية الصعوبة ، وطلبت النجدة من القائد البريطاني في الحلة، الذي أسرع إلى إرسال قوات كبيرة لفك الحصار عن القوات المحاصرة في الكوفة .

تقدمت القوات البريطانية باتجاه المدينة حتى وصلت إلى الرارنجية ، التي تبعد ١٢ كم عن مدينة الحلة و٨ كم عن الكفل وعسكرت هناك. واستعد الثوار لملاقاة القوات البريطانية في منطقة الكفل ،وقسموا قواتهم إلى قسمين،قسم أخذ مواقعه على طرف شط الهندية الشرقي، والقسم الثاني أخذ مواقعه على امتداد سكة القطار التي تربط الحلة بالكفل،وكانت قوات الثورة مدفوعة بإيمانها بعدالة قضيتها،وقد عقدت العزم على التصدي لقوات الاحتلال

---

**([٢]).المصدر نفسه، ص ص،٢٣٠-٣٢٣.**

**([٣]).المصدر نفسه،ص ص،٣٠٠-٣٢٤؛وميض جمال عمر نظمي،الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية والاستقلالية في العراق،مطبعة اشبيلية،(بغداد،١٩٨٥)،ص ص،٣٩٩ -٤٠٠.**

المدججة بشتى أنواع الأسلحة والمعدات الثقيلة،وهي لاتملك سوى الأسلحة الخفيفة من بنادق قديمة ومسدسات وفؤوس ومكاوير ،ولكنها كانت تملك الأيمان بعدالة القضية التي تناضل من اجلها،والإصرار على التحرر من ربقة الاستعمار الجديد،فيما كان الجنود البريطانيون الذين أتعبتهم الحرب يحاربون من أجل ملئ جيوب الرأسماليين الاستعماريين[٤].

كانت ثلة من الجنود البريطانيين برشاشاتهم الثقيلة قد أخذت مواقعها واستحكاماتها عند قنطرة على قناة الرارنجية، وعندما أزفت ساعة الهجوم انقضّتْ قوات الثورة على القوات البريطانية عند الجسر، وما هي إلا برهة حتى وقع الجسر في أيديهم ، فيما التحمت قوات الثورة من الجهتين مع القوات البريطانية في معركة شرسة ومتلاحمة حتى تعذر على قوات الاحتلال استخدام المدافع في القتال ،وكانت المعركة تجري بالبنادق والسيوف والفؤوس والمكاوير ،وكان الثوار يرددون الأهزوجة الشعبية المشهورة (( **الطوب احسن، لو مكواري** ))، فقد تغلب المكوار على السلاح البريطاني ،واندحرت قوات الاحتلال ،وهرب قائد الحملة تاركاً جثث المئات من أفراد قواته في ارض المعركة .وفي الوقت الذي كانت قوات العشائر في الجنوب تخوض المعارك ضد المحتلين كان رصاص الثوار في كردستان ينطلق بغزارة ضد المحتلين هناك ،فقد هب ثوار كردستان بوجه المحتلين، ووقعت بين الطرفين معارك شرسة في السليمانية وعقره وكفري، وتمكنت قوات الثورة في كفري بقيادة إبراهيم خان في أواخر تشرين الأول١٩٢٠ من الاستيلاء على المدينة وتحريرها من سيطرة قوات الاحتلال، وقتل القائد البريطاني جاردن Garden ، واستمر لهيب المعارك ضد المحتلين في المنطقة ٢٣ يوماً ،قبل أن تتمكن القوات البريطانية التي وصلتها نجدات جديدة من إعادة احتلالها[٥].

لقد امتد لهيب الثورة إلى كل بقاع الوطن ، وانغمر فيها عدد كبير من رجال الدين ، وشيوخ العشائر والمثقفين والعمال والفلاحين الشجعان الذين كانوا عماد الثورة، وكانت الثورة على الرغم من التأخر الذي سببه الاستعمار العثماني الطويل على درجة عالية من

---

(٤). عبدالرزاق الحسني،الثورة العراقية الكبرى،ص ص،١٩١-٢٠٤ .

(٥). المصدر نفسه،ص ص،١٩١-٢٠٤ .

التنظيم والتخطيط والدقة ، ويستدل على ذلك من التوجيهات التي كانت تصدرها قيادات الثورة إلى القوات المشاركة فيها ،والتي جاء فيها[٦]:

١ . يجب على كافة الأفراد أن يفهموا بأن المقصود من هذه الثورة إنما هو طلب الاستقلال التام.

٢ . يجب أن يهتف الجميع للاستقلال في كل ميادين القتال .

٣. يجب التمسك بالنظام ، ومنع الاعتداء ، فلا نهب ولا سلب ،ولا ضغائن قديمة ولا أحقاد .

٤ . يجب تأمين الطرق ، وحفظ المواصلات بينكم وبين مناطق الثورة .

٥ . بذل الهمة لحفظ الرصاص،فلا يجوز إطلاقه في الهواء بدون فائدة .

٦ . يجب الاعتناء بالأسرى ،ضباطاً وجنوداً ، إنكليزاً كانوا أم هنوداً .

٧ . المحافظة على أعمدة الهاتف ،والأسلاك لضمان استمرار الاتصالات .

٨ . الاهتمام بقطع السكة الحديدية ،ونسف الجسور ،لمنع قوات الاحتلال من استخدامها.

٩ . الحفاظ على كافة وسائل النقل التي تقع في أيدي قوات الثورة والاستفادة منها.

١٠ . المحافظة على الأسلحة المصادرة من العدو ،وإدامتها لغرض استخدامها ضده.

١١ . عند تحرير أي مدينة ، يجب الاهتمام بتشكيل إدارة وطنية لها، والاهتمام بالأبنية الحكومية ، وعدم هدمها أو إحراقها والمحافظة على الوثائق فيها .

١٢ . المحافظة على المستشفيات وأدواتها وأجهزتها والأدوية الموجودة فيها .

١٣ . الرفق بالجرحى وإسعافهم، والاهتمام بهم ،والعمل على إنقاذ حياتهم .

هذه هي الوصايا التي عممتها قيادة الثورة على قواتها ، وهي تمثل أرقى درجات التنظيم في إدارة شؤون الثورة ، والحرص على سمعتها ، والتحلي بالخلق السامي في معاملة الأسرى والجرحى ، والاهتمام بمرافق البلاد من عبث العابثين ، وهي تدل دلالة أكيدة على الشعور العالي بالمسؤولية .

بعد كل تلك الضربات القاسية التي وجهتها قوى الثورة لقوات الاحتلال البريطاني، وانتشار لهيب الثورة إلى كافة أنحاء العراق لجأ المحتلون إلى استقدام قوات كبيرة من خارج

---

(٦).المصدر نفسه ، ص ص،٢١٩-٢٢٦.

البلاد لمجابهة قوى الثورة الوطنية ، وجلبوا مختلف الأسلحة والمعدات الثقيلة لغرض إخماد لهيب الثورة ، وخاضت تلك القوات معارك شرسة دامت طيلة خمسة اشهر[٧]، ضد قوى الثورة التي كانت تفتقد السلاح الذي يمكن أن تحارب به قوات الاحتلال، واستخدم المحتلون أقسى درجات العنف وأشنعها ضد قوى الثورة، وضد أبناء الشعب ، وأبدى الثوار صنوفاً من البطولة النادرة ،على الرغم من عدم تكافؤ أسلحة الطرفين ، والإمكانيات المادية والعسكرية للبريطانيين الذين كانوا يمثلون أقوى دولة استعمارية في العالم ، واستطاع المحتلون في نهاية الأمر إجهاض الثورة ،بعد أن دفعت قواتهم ثمناً باهظاً من أرواح جنودهم ومن اقتصادهم الذي أنهكته الثورة ، لدرجة أن أصوات الشعب البريطاني ارتفعت عالياً مطالبة الحكومة بسحب قواتها من العراق وإنقاذ جنودها من لهيب المعارك مع الثوار، وامتدت صيحاتهم إلى مجلس العموم البريطاني نفسه ،اذ طالب العديد من أعضاء المجلس بانسحاب القوات البريطانية من العراق ، نظراً للتكاليف الباهضة التي دفعتها بريطانيا لإدامة سيطرتها على العراق، وتصاعد احتجاجات الشعب البريطاني على ارتفاع عدد القتلى من الجنود البريطانيين[٨]

ومما يجدر ذكره، إن من أشهر المعارك لثورة العشرين هي: معركة الرارنجية، حصار الكوت، معارك العارضيات والهاشميات، معارك الكفل والحلة، معارك عشيرة زوبع وقطعهم سكك الحديد بين بغداد وسامراء، معارك العشائر الكردية، لذا لم يكن الكرد في معزلٍ عن ثورة العشرين فقد تحركت القبائل والعشائر الكردية تضامناً مع العشائر العراقية الأخرى، وهب ثوار كردستان في السليمانية واربيل وعقرة وسنجار وخانقين وكفري التي وقعت فيها معارك طاحنة بقيادة القائد الكردي ابراهيم خان نهاية ١٩٢٠ واستولوا على مدينة كفري وقتل قائدهم ( كوردن) ومعارك اشتركت فيها عشائر من (الكرد الفيليين) مع إخوانهم من العشائر العربية في ديالى ومندلي وخانقين وبدره والحي والنعمانية والصويرة، ومعارك سنجار وتلعفر بمشاركة أتراكها ومسيحييها[٩].

---

(٧).الفريق سر إلمر هولدين،ثورة العراق ١٩٢٠،ترجمة فؤاد جميل،الرافدين للطباعة والنشر،ط١، (بيروت،٢٠١٠)، ص ص،١٧٣-٤٢١.

(٨). عبدالرزاق الحسني،الثورة العراقية الكبرى ،ص ص،١٧٨-٢٨٥ .

(٩). موقع شفق نيوز الالكتروني:http://www.ara.shafaaq.com

## من شعارات الثورة وأهزوجاتها المضيئة في الذاكرة العراقية

الأهازيج والهوسات هي تقنيات الحرب الإعلامية أستعملها الثوار في ثورة العشرين كمحفز ومصدر أعلامي لبطولاتهم،وكأرشيف احتفظت به الذاكرة العراقية لشحذ الهمم وتفاخر الأحفاد بها،وكان الأديب الشاعر محمد مهدي البصير أبرز شعراء الثورة حتى سموه بـ (ميرابو الثورة) وهو صاحب النصيحة الثورية(( **لا بخطب المنابر ننتصر بل بالثورة المسلحة**)) ومن هذه الاهازيج[١٠]:

١.يالترعد بالجو هز غيري – هزج بها بطل معارك الشامية الشيخ مرزوك العواد من عشيرة العوايد حين كانت الطائرات البريطانية تقصف منطقته وعشيرته ، وألقت مناشير تدعو للاستسلام.

٢.الطوب أحسن لو مكواري– أحد الفلاحين في معركة الرارنجية تسلل إلى مكان الطوب وهو المدفع الذي كان يقصف الأهالي ، وقتل صاحبهُ وهو يهزج.

٣.هزيت أو لوليت الهذا – هزجت بها الشاعرة ( فطيمه) من عشيرة الظوالم حين سألت أخيها عن أبنها فقال لها ( لا جن هزيتي أو لوليتي) ففهمت قصده بأنّ أبنها قتل وضاع تعبها فأجابت بهذه الأهزوجة مفتخرة ، وتعني هذا اليوم.

٤.كل جابت خابت بس آنه– أحدى النساء العراقيات شاهدت أبنها مرمياً على الأرض ، وقالت هوستها هذه.

٥.حل الفرض الخامس كوموا له– عندما هاجم الشيخ شعلان أبو الجون القوات البريطانية في الرميثة قالها.

٦.بس لا يتعذر موش آنه – فأجابها . خلوني أبحلكه أو كلت آنه – حكاية الشاعرة (عفته بنت صويلح ) من عشيرة الأزيرج أسر العدو أبنها وقد مروا به عليها عندما شاهدته خشيت أن يناله الجبن وربما يلوذ بالانكسار فأفهمته بالهوسة.

## نتائج ثورة العشرين

على الرغم من أن ثورة العشرين لم تنجز هدفها الرئيسي في تحقيق الاستقلال الناجز للعراق،إلا أن تلك الثورة كان لها الدور الحاسم في إسراع البريطانيين في تغيير سياستهم

---

(١٠).المصدر نفسه.

تجاه العراق،وصرف النظر عن حكمهم العسكري،بعد أن كلفتهم الثورة آلاف القتلى والجرحى ، أثقلت كاهل خزانه الدولة البريطانية، المثقلة أصلاً بأعباء الحرب العالمية الأولى. فقد استمرت الثورة لمدة خمسة أشهر ،تضمنت عمليات عسكرية،ومواجهات مسلحة وقصف مدن بالطائرات وإحراق قرى ومزارع، قتلى وجرحى وأسرى، بشكل أربك الإدارة البريطانية فقد قدر الجنرال هالدن الخسائر البشرية للبريطانيين بـ(٢٢٦٩) اصابة وبلغت الخسائر المادية لبريطانيا ما بين (٢٠-٤٠)مليون جنيه استرليني. أما خسائر العراق فقدرها بـ(٨٤٥٠) اصابة ما بين شهيد وجريح [١١].ولكن الثورة أصيبت بنكبة إثر وفاة قائدها الشيخ محمد تقي الشيرازي ، فتولى القيادة الشيخ فتح الله الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة .

لم تحقق الثورة كل أهدافها إلا أنها أسهمت في تغيير موقف الحكومة البريطانية والتخلي عن فكرة الحكم المباشر ، والاعتراف بتأسيس حكومة وطنية ، والاستقلال . وهذا ما سيؤثر على مستقبل الحركة السياسية في العراق عموماً التي استفادت من الثورة، إلا أن المرجعية الدينية دفعت الثمن. إذ لم تغفر لها بريطانيا ما سببته لها من مشكلات وصعوبات خلال خمس سنوات، فبادرت إلى نفي الفقهاء والعلماء عن العراق .

لذلك فقد وجدت بريطانيا أن خير سبيل إلى تجنب المزيد من الخسائر البشرية والمادية هو إقامة ما سمي بالحكم الوطني، وتأليف حكومة محلية، والإتيان بالأمير فيصل أبن الحسين ملكاً على العراق، مكتفين بالاحتفاظ ببعض القواعد العسكرية،بعد تكبيل البلاد بقيود ثقيلة، بموجب معاهدة تعقد بين الجانبين، التي يتم بموجبها لهم الهيمنة الفعلية على مقدرات العراق السياسية ،والاقتصادية، والعسكرية والثقافية، وسائر المجالات الأخرى.

أما لماذا لم تحقق الثورة هدفها الأساسي في الاستقلال الحقيقي والناجز فيمكن حصرها بما يلي[١٢] :

١. عدم تكافؤ القوى بين القوات البريطانية والثوار ولاسيّما في مجال الأسلحة والمعدات الثقيلة والطائرات ، فضلاً عن الخبرة العسكرية للجيوش البريطانية .

٢. ضعف مستوى الخبرات العسكرية للثوارم،على الرغم مما قدموه من التضحيات ، وصنوف البطولة التي يعتز بها كل عراقي ، وكانت مثار إعجاب الجميع .

---

(١١).الفريق سر إلمر هولدين،المصدر السابق،ص ص،٤٦٢-٤٦٣.

(١٢). شبكة البصرة مؤسسة عالم واحد للبحث والإعلام:الموقع: http://articles.abolkhaseb.net.

٣. استخدام القوات البريطانية لسياسة التفرقة ،وخلق الحزازات ،والصِدام بين العشائر، واستمالة عدد من رؤساء العشائر الكبار إلى جانبهم، وإغرائهم بالإقطاعيات والمناصب والسلطة ، كما استخدموا الخلافات الدينية والطائفية والعقائدية لتمزيق الوحدة الوطنية .

٤. ضعف القيادة السياسية،من حيث تنظيمها، وتركيبها الطبقي، ولاسيّما البرجوازية الوطنية ، الضعيفة جداً آنذاك، اقتصادياً وسياسياً ، مما حال دون أن تلعب دورها القيادي بشكل صحيح .

٥. عدم صلة الثورة بأي ارتباط أو دعم خارجي يساعدها على مقاومة البريطانيين، فقد كان الثوار ينقصهم الكثير من الأسلحة والمعدات، والخبرات العسكرية والتدريب على استخدام الأسلحة المستولى عليها من العدو ، في حين كان العدو على أتم الاستعداد ومن كل الوجوه.

٦. عدم وجود قيادة موحدة للثورة ، وضعف التنسيق بين المناطق المختلفة ،ويُعد هذا العامل من العوامل الهامة التي أدت إلى إجهاض الثورة ، وحالت دون تحقيق هدفها الرئيسي في الاستقلال الناجز .

**ويمكن ايجاز أهم نتائج الثورة[١٣]:**

١.على الرغم من فشل الثورة عسكرياً لفقدان التكافؤ بين الطرفين في كل مقومات الحرب ، ولكنها سجلت بعداً سياسياً في المحافل الدولية،وأصبح العراق رقماً صعباً يجب الاعتراف به كوجود والتفاهم الحواري السياسي معهُ ككيان مستقل،هذا ما جاء في مقررات مؤتمر القاهرة[١٤] ١٩٢٠ الذي حضره وزير المستعمرات البريطاني(ونستون تشرشل).

٢.وأهم ثمار الثورة هو(البعد الوطني)بتبلور الوعي الوطني بالولاء للعراق فقط والانتماء اليه ، بغض النظر إلى الانتماءات الفرعية كالقومية والطائفية والمناطقية، وهذا ما أشار لهُ الدكتور علي الوردي في الجزء الخامس في كتابه لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث:(( **لم تكن مفاهيم الوطنية والاستقلال وأمثالها مألوفة لدى العراقيين في الماضي**

---

(١٣). عبدالرزاق الحسني،الثورة العراقية الكبرى،ص ص،٣٢٤-٣٣٠؛ موقع شفق نيوز الالكتروني: http://www.ara.shafaaq.com

(١٤). للمزيد عن المؤتمر ومقرراته،ينظر:رجاء حسين الخطاب ، مؤتمر القاهرة وتأثيره على الوضع السياسي في العراق ، (بغداد، ٢٠٠١).

**غير أنها أصبحت متداولة بينهم في أثناء ثورة العشرين وما بعدها ويهتفون لها، ومن الممكن عد ثورة العشرين المدرسة الشعبية الأولى التي علمت العراقيين تلك المفاهيم ، وكانت البداية للوعي الوطني الذي أخذ يتخذ بعد ذلك بين الناس بمرور الزمن)).**

٣.ومن النتائج السياسية لثورة العشرين هي حصول انتقادات واسعة في مجلس العموم البريطاني ضد سياسة بريطانيا في العراق فضلاً عن الضغط الشعبي الجماهيري الواسع ضد المحتل البريطاني والوعي للتخلص والتغيير لذلك قررت بريطانيا أن تحكم العراق بصورة غير مباشرة فوافقت على:

أ. تشكيل أول حكومة عراقية مؤقتة.

ب. إقامة ملكية عراقية وسمّت لها الأمير فيصل أبن الشريف حسين ملك الحجاز.

٤.حصلت الثورة على بعدين ديني ووطني سياسي وذلك حسب فتوى المرجعية الشيرازية بالجهاد واستعماله كلمة (العراقيين) فأنّها تعني هنا جميع العراقيين معنيين بالجهاد والمقاومة ليس فقط المذهب الجعفري.

ومما تجدر الاشارة اليه ،أن الثورة عبرت عن وحدة وتلاحم أطياف الشعب العراقي باثنوجغرافيتة المجتمعية، أنّها لم تكن صنيعة حزب أو كتلة أو طائفة وحتى لم تكن لها جغرافية محددة مقفلة بل كانت مساحتها العراق – والعراق كله، فقد أشترك الشعب العراقي بكل أطيافهِ وقواه الوطنية بمساحة جغرافية العراق كما ذكر لنا في هذا المجال الدكتور علي الوردي:((.. **يمكن القول على أي حال أنّ ثورة العشرين هي أول حدث في تأريخ العراق ، يشترك فيه العراقيون بمختلف فئاتهم وطبقاتهم فقد شوهدت فيها العمامة إلى جانب الطربوش والكشيدة إلى جانب اللفة القلعية والعقال إلى جانب الكلاو وكلهم يهتفون( يحيا الوطن) وهذا الحراك الوطني الشامل هو التصميم على الخلاص والتغيير بالاعتراف بدولة أسمها العراق))**[١٥]،وهنا تبرز أهمية الثورة في أفهام الشعب بنوايا بريطانيا الخبيثة في ( تهنيد العراق) وألحاقه بدول التاج البريطاني(الكومنولث).

---

(١٥).علي الوردي،المصدر السابق، ص ؛ http://www.ara.shafaaq.com